الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة– Naama University centre SALHI Ahmed
معهد الآداب واللّغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي بعنوان:

جماليّة التّقديم والتّأخير عند عبد القاهر الجرجاني

ميدان اللغة والأدب العربي شعبة الدراسات اللّغوية تخصص لسانيات عربيّة

إشراف الأستاذ: الدّكتور عبد الوهاب حجازي

إعداد الطالبة:

– حميدة سويح.

لجنة المناقشة:

د. حجازي عبد الوهاب..... مشرفاً

د. رافعي عبد الله.....رئيساً

د. عبد القادر قصاب.....مناقشاً

الموسم الجامعي: 1445هـ الموافق 2023-2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : حميدة سويح

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 204 30 1138

الصادرة بتاريخ : 2019 . 02 . 27 .

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي .

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : جمالية التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني .

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2024 . 05 . 29 .

توقيع المعني

الإهداء

إلى وردة قلبي التي لا يمكن أن يزهر مثلها أي شيء آخر في الحياة، ريحانة حياتي ، وعبقها الأخّاذ، حبيبتي ووطني، وملاذي "أمي الغالية"،

إلى مثلي الأعلى، سندي، ومنبع أمني وأماني "والدي العزيز".

إلى من قضيت رفقتهم أسعد لحظات طفولتي وحياتي مصدر ارتياحي "إخوتي وأخواتي".

كلمة شكر

الحمد لله حمداً كثيراً حتى يبلغ الحمد منتهاه، والصلاة والسلام على أشرف مخلوق أناره الله بنوره واصطفاه.

أتقدم بجزيل الشكر والتّقدير إلى الأستاذ الدكتور المشرف "حجازي عبد الوهاب" على كلّ ما قدمه لي من توجيهات ومعلومات ساندتني بالارتحال من الطريق المسدود إلى الهدف المنشود، وكذا الشكر لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة، وإلى كلّ يدٍ رافقتني من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل.

مقدّمة

تعدّ فصاحة اللّسان من أهم المهارات اللّغوية التي تميّز الفرد وتعزّز من قدرته على التواصل الفعّال والابداعيّ، فاكتسابها يتطلّب الالتزام بالتّعلم، التّدريب، والممارسة، ويتأتى ذلك من خلال قراءة القرآن الكريم فهو منبع البلاغة والفصاحة، والاجتهاد في حفظ أقدم أساليب المتفوّقين في اللّغة، وهذا يتضمّن حفظ النّوادر والأمثال والحِكَم والأشعار القديمة، فالتّقليد والاقتباس بداية الطّريق، ثم بعد أَمَدٍ قريبٍ تجدُ أنّك صِرت تبتكر وتبدع، وينطلق لسانك بفصاحة دون أن تعود إلى النّصوص القديمة؛ لأنّك تشرّبتها فتأتي بكلام قريب منها دون أيّ جهد أو تصنّع أو تقليد.

وهذا ما تَتَلْمَذَ عليه جمهور علماء البلاغة وخير مثال النّحوي والبلاغيّ الفذّ عبد القاهر الجرجانيّ الّذي دَرَسَ على يد شيخه الفارسيّ النّحويّ ابن أخت أبي عليّ الفارسيّ، ولم يقف عند أخذه عن شيخه، وإنّما قرأ الكتب بوعي، ونقل عن الكثيرين ممّن اشتهروا باللّغة والنّحو، والبلاغة والأدب. فألّف أهمّ إنجاز عُرِفَ في تاريخ النّقد العربيّ باسم نظريّة النّظم في كتابه " دلائل الإعجاز " والّذي تناول من خلاله أهمّ أسلوب بلاغي ونحويّ ألا وهو " التّقديم والتّأخير " وهو موضوع مذكّرتي المُعنوَنة ب " جماليّة التّقديم والتّأخير عند عبد القاهر الجرجانيّ ".

وكان من أسباب اختياري لهذا الموضوع عدّة دوافع أهمّها؛

ـ أنّ التّقديم والتّأخير من المواضيع الّتي أثارت اهتمام علماء النّحو والبلاغة على حدّ سواء عبر التّاريخ لغاية فنيّة ودلالة جماليّة، وأغراض بلاغيّة فكانت غايتي أن أتّبع مسارها عند مؤسّسها " عبد القاهر الجرجانيّ " والتماس ما أضفاه على هذا الجانب خلافًا لغيره من البلاغيين والنّحويين

-أن التّقديم والتأخير أهم الأساليب البلاغيّة في تعزيز المعاني وإبرازها بطريقة تؤثر في المتلقي من خلال مناقشة كيف يمكن للنصوص البلاغية المساس بمشاعر القرّاء والمستمعين.

-أنّ دراسة أسلوب التّقديم والتّأخير تتطلب فهماً عميقاً لقواعد النّحو والصّرف في اللّغة العربيّة.

ـ أنّ الموضوع متعلّق بعلم المعاني الّذي يُعنى بتعليم المتحدّث فنّ التّعبير عن مُرادِهِ بألفاظٍ قليلة للدّلالة على معانٍ كثيرة.

ـ أنّ الموضوع ذا أهميّة حيث صار مجال دراسة بمؤسساتنا التّعليميّة كجزء أساسيّ من مناهج اللّغة العربيّة؛ لما له من إثراء في تحقيق البلاغة والجمال على النّصوص.

وممّا لاشكّ فيه أنّ كلّ بحث قد تعترض صاحبه جملة من الصّعوبات، ومن الصّعوبات الّتي واجهتني أهمّها:

ـ الصعوبة في جمع بيانات ذات جودة عاليّة والاعتماد على مصادر محدّدة دون الاشتراك في قواعد البيانات العلميّة المدفوعة.

-القيود الزمنيّة المتمثلة في ضيق الوقت المتاح لإتمام البحث.

-الضغوط النفسيّة في تحقيق التوازن بين الحياة الدّراسيّة والحياة المهنيّة.

ومن أجل معالجة الموضوع سلّطت الضوء على تساؤلات أهمها:

ـ أين تكمن جماليّات التّقديم والتّأخير، ودلالتها الفنيّة في البلاغة بصفة عامّة، وعند الجرجانّي بصفة خاصّة ؟

ـ وما مدى زيادة المعنى رونقاً وجمالاً بتوظيف هذا الأسلوب ؟

وللإجابة عنها اعتمدت الخطّة الآتية :

افتتحت بحثي بمقدمة، فمدخل تحدثت به عن البلاغة نشأتها، تطوّرها وعلومها مع التّركيز على علم المعاني، ثمّ فصلين خُصّص الفصل الأوّل للجانب النّظري من أجل الإلهام والإحاطة بمختلف جوانب الموضوع حيث قسّمته إلى مبحثين؛ المبحث الأول بعنوان " التّقديم والتّأخير عند النّحويين تناولت من خلاله :

ـ الجملة بين النّحو والبلاغة.

ـ ماهية التّقديم والتّأخير.

ـ التّقديم والتّأخير عند النّحاة.

بينما عُنونَ المبحث الثاني " بالتّقديم والتّأخير عند البلاغيين، وتمّت دراسته على الشّكل الآتي:

ـ التّقديم والتّأخير عند الجرجاني.

ـ الأغراض البلاغيّة للتّقديم والتّأخير.

ـ الأهميّة والفوائد.

أمّا الفصل الثّاني فخصّص للشّق التطبيقيّ من خلال دراسته في كتاب " دلائل الإعجاز " فحاولت من خلاله أن أبرز العلاقة بين التّقديم والتّأخير والنّظم ثمّ العلاقة بين التّقديم والتّأخير والجانب النّفسي وما تضفيه هاتين العلاقتين من جانب جماليّ مع تقديم أمثلة وشواهد أوضحها الجرجانيّ.

تلتها بعد ذلك عرض بعض الأمثلة التطبيقيّة حول الأغراض البلاغيّة للتّقديم والتّأخير تناولها الشّيخ في كتابه " الدلائل " على سبيل الذّكر لا الحصر، ومحاولة تقديمها بطريقة سَلِسَةٍ وبسيطةٍ.

ولإثراء هذا البحث أكثر سلّطت الضّوء على عدّة مصادر ومراجع رئيسة أذكر منها :

- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.
- دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم لمنير ألمسيري.
- أسرار التّقديم والتّأخير في لغة القرآن الكريم لمحمود السّيد شيخون.
- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) لفضل حسن عبّاس.
- علم المعاني لعبد العزيز عتيق.

وفي دراستي لهذه الظّاهرة البلاغيّة اعتمدت المنهج الوصفي التّحليلي القائم على جمع المعلومة، ومحاولة تحليلها وتوضيحها.

وفي الأخير أتقدّم بالشّكر الجزيل للأستاذ الدّكتور " عبد الوهاب حجازي " على توجيهاته وإرشاداته فجزاه الله كلّ خير. وأتمنى أن يساهم بحثي هذا في إثراء الموضوع البلاغيّ ولو بالشّيء اليسير في مجال الدّرس الأكاديميّ.

مدخل

عُنِيَ العرب القُدامى بعلم البلاغة الّذي يُعدُّ من ابرز العلوم، وأشرفها عندهم لأَنّها كانت من الأدوات المهمة لفهم القرآن الكريم وإدراك إعجازه، وهذا بدوره دفع الباحثين إلى فهمها و درسها حتّى أصبحت علما مستقلاّ ذا قواعد وأُصول.

فالبلاغة لم توجد دفعة واحدة و لم تكن ثمرةً لجهد عالمٍ معين من العلماء أو حقبة من الزمان، ولكنّ هذا العلم كان ثمرة لجهود كثيرٍ من العلماء على مرّ العصور، تعددت مناهجهم واختلفت ثقافتهم وشاركوا جميعا في بناء هذا الصَّرح البلاغي الكبير.[1]

وإذا تتبّعنا البدايات الأولى لنشأة هذا العلم وصلنا إلى العصر الجاهليّ, فقد بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وكانت هذه البلاغة أمرًا نابعًا من سليقتهم.فقد عشقته نفوسهم وألفته ألسنتهم وأذانهم، حيث اشتهروا بحبِّ البلاغة، ولم يكن هذا الحبّ مقصورا على فئة خاصة، وإنما كان طبع العرب كافة، إنه أقرب أن يكون غريزة فيهم أو فطرةً فُطرُوا عليها، وهو أعمق وأعمُّ من أن يكون صفةً لطائفةٍ معينة منهم، بل قد شاع حتّى بَين عامّتهم.

" وهذا يقودنا أن لِلُّغة العربيّة كما وصلت إلينا خصائص تميّزها من سواها، وتدلُّ على مَبلَغِ عقول أصحابها من الرُّقيِّ ، وإن كانوا بادية راحلين، وهذه هي مميّزاتها حيث تُحدِثُ ألفاظها وَقْعًا على الأُذن، له تأثير موسيقي يختلف شدّة ولطافة باختلاف التراكيب فيؤثّر في النفس تأثيرًا خاصًّا سواء كان نثرًا أو نَظمًا."[2]

فكان الأدباء والشعراء فيه يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصُّوَر، وكانوا يسوقون أحيانا ملاحظات لا رَيبَ في أنّها أصل الملاحظات البيانيّة الدّالة على الذكاء وامتلاك ناصية اللّغة في بلاغتنا العربيّة [3].

ثمّ في العصر الإسلامي أخذت تنموا العناية بالكلام بفضل ما جاء به القرآن الكريم من الفصاحة والبلاغة أَثَّر تأثيرًا كبيرًا في اللّغة العربيّة وأساليبها وألفاظها لِتُشرِّب قرائح المسلمين

[1] ينظر: فوزي عبد ربه : المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ط2005، ص:43

[2] جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج1، تق إبراهيم صحراوي،ط/2007، ص:82

[3] ينظر: شوقي ضيف: البلاغة تطور تاريخ. دار المعارف القاهرة،ط9،ص:13.

روح القرآن وحفظهم كلامه وإعجابهم به، وطبيعيّ أنّ الكاتبَ تتكيف ملكة اللّغة فيه على مقتضى محفوظه من أشعارها وأمثالها، وأساليبها فلا عجب إذا ظهرت أساليب القرآن وألفاظه في لغة المسلمين، شعرا ونثرا، كتابة وخطابة، ويرجع ذلك التّغيير إلى قسمين؛ تغيّر في الأسلوب وتغيّر في الألفاظ.

فنزول القرآن الكريم بلسان عربيّ مُبين كان متوجًّا لفصاحة العرب ، مُبرهنا على بلاغتهم متحدّيًا بذلك هذه الفصاحة الكاملة، وتلك البلاغة التّامة، فقد أثّر القرآن الكريم تأثيرًا بالغًا في نشأة البلاغة، إذ عكف العلماء على دراسة القرآن و البحث عن سرّ إعجازه فقالوا:" إنّ أحقَّ العلوم بالتعلّم هو علم البلاغة ومعرفة الفصاحة و الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه به الله من حسن التّأليف وبراعة التّركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللّطيف وضمّنه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة مع سهولة كلمه، وجزالتها وعذوبتها وسلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها".[1]

ومن هذا كانت الانطلاقة الأولى لعلماء اللّغة على اختلافهم في بداية التّأليف بوضع بعض المؤلفات التي توضح اللّغة ودقائقها الفنية و البلاغية والتي أسهمت إسهاما كبيرا في إثراء الدرس البلاغي وتطوّره حيث اتسعت بفضلهم دائرة العلوم البلاغية التي كانت مجرّد ملاحظات فطريّة ذوقيّة غير معلّلة.

وانتهت في الأخير إلى علم قائم بذاته واضح المَعلَم متعدّد الأقسام جمع بين علم المعاني، علم البيان وعلم البديع التي تضم مختلف الجوانب الفنيّة والجمالية للكلام، والتي حظيت باهتمام كبير من طرف علماء البلاغة فخاضوا في أعماقها وبحثوا في كوامنها وأسرار بلاغتها، فنجد الجاحظ صاحب الرّيادة في الدّرس البلاغي خاصّة في كتابه "البيان و التّبيين" الذي خصّه بعناية كبيرة بالبحث في شؤون البلاغة.

[1] أبو هلال العسكري: كتاب الصّناعتين "الكتابة والشعر"، تح علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، دار الفكر العربي، ص: 07.

ومن الأسماء اللّامعة في علم البلاغة نجد "أبو هلال العسكريّ" الذي ألّف كتاب "الصناعتين" و الذي ضمنه كثيرًا من المصطلحات والفنون البلاغيّة، إلى جانبه القاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبيّ وخصومه"

وعرف علم البلاغة منعطفا قويًّا مع مجيء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجريّ، فقد وضع في كتابيه ' أسرار البلاغة ' و' دلائل الإعجاز' الأسس العامّة والقواعد الأساسية لعلوم البلاغة، فقد تكاملت فيهما المباحث البلاغية، واستقرّت للبلاغة ملامحها الأخيرة، وبلغت أقصى ما قُدِّر لها أن تبلغه من نضج على امتداد تاريخها كلّه.

والبلاغة في الأصل اللّغويّ من الفعل: " بلغ : بَلَغَ الشَّيءُ يبلغ بلوغا وبلاغا : وصل وانتهى. وتَبَلَّغ بالشيء : وصل إلى مراده، والبلاغ : ما يتبلغ به و يتوصل إلى الشيء المطلوب"[1].

"والبلاغة : الفصاحة، والبَلْغُ والبِلْغُ : البليغ من الرجال، ورجل بَليغٌ وبَلغٌ و بِلغٌ : حسن الكلام فصيحه يُبلِغُ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بلغاءُ."[2]

أما في الاصطلاح "فقد ذهب القز ويني إلى أنّ البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته... ' فالبلاغة صفة راجعة إلى اللّفظ لاعتبار إفادته المعنى بالتركيب، فالبلاغة إذن تقوم على دعائم اختيار اللفظة، حسن التركيب وصحّته، اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين مع حسن الابتداء، وحسن الانتهاء"[3].

أستنتج ممّا سبق قوله أنّ علم البلاغة علم يعرف به أحوال اللّفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال أمّا موضوعه ا أساليب العربيّة (من تأليف الكلام ونظمه وسياقه بمعونة القرآن الكريم وكلام العرب الفصحاء) وما يقتضيه المقام الذي يؤتى فيه.

والمتتبّع لتقسيم علوم البلاغة إلى "علم المعاني" و"علم البيان" و"علم البديع" لاحظ أنّ البلاغيّ العربيّ قد حاول الوصول إلى وضع هذه العلوم وتقسيمها، وتحديد دور كلٍّ منها، بادئا بتحديد

---

[1] ابن منظور : لسان العرب، مج/8 دار صادر بيروت، ص : 419

[2] المرجع نفسه، ص : 420

[3] إيهاب مجيد محمود جرّاد : القراءة المعاصرة للتراث النقدي والبلاغي عبد الحكيم راضي "نموذجا" ط1،2014، ص : 163

موضوع العلم أي علم البلاغة. وموضوعه هو (الكلام العربي من حيث هو بليغ أو غير بليغ. وقد جرّهم ذلك إلى الحديث عن صفة البلاغة في الكلام، وانتهوا إلى أنّها تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)[1]، أي نعتمد على النظر إلى كل من النص اللّغوي والموقف الذي قيل فيه.

وعلم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة، المعاني والبيان والبديع وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز، وكتب المتقدمين خير شاهد على ذلك، ففيها تتجاوز مسائل علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينهما. وشيئا فشيئا أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحنى التخصص والاستقلال كما أخذت مسائل كل فن بلاغي تتبلور وتتلاحق واحدة بعد الأخرى، وظل الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجاني ووضع نظرية علم المعاني في كتابه ' دلائل الإعجاز.' وبذلك يعد واضح أصول علم المعاني ومؤسسه في العربية، ولم يحدث بعده تغيير في هذا العلم لأنه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله كل القواعد البلاغية فيه، وقد فتن البلاغيون بعمله فراحوا يرددون كلامه ويقفون عنده لا يتجاوزونه إلى عمق أو ابتكار كأنّما البحث في البلاغة قد انتهى بعبد القاهر الجرجاني.[2]

أستنتج مما سبق أنّ جهود البلاغيين من بعده انحصرت في جمع قواعد علوم البلاغة التي وضعها الشيخ وأنّه بوضعه نظرية علم المعاني كان يقصد بكلمة "المعاني " معاني النحو التي تظهر بشكل جلّي من خلال نظرية النّظم التي انطلق منها يُبَيِّنُ الجمال البلاغي لأي الذكر الحكيم.

أمّا موضوع علم المعاني هو الجملة العربية حيث يهتم بدراسة التراكيب التي تخرج عن معناها الأصلي و تفيد معاني أخرى حسب مقتضيات الأحوال، كما أنه يختص دون غيره من علوم

[1] ينظر : عبد الحكيم راضي : نصوص بلاغية من مباحث المعاني(اختيار وتقديم)، مكتبة الآداب1996، ص : 8.7

[2] ينظر : عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ط1، 2009، ص : 25.26.

البلاغة بدراسة المعنى وما يدل عليه، فهو يرشدنا إلى معرفة التراكيب اللّغوية المناسبة لكل مقام، ومع أنّ موضوع علم المعاني هو الجملة إلا أنه لا يقتصر على البحث في كل جملة مفردة على حدة، لكنه يبحث أيضا في علاقة الجمل بعضها البعض بالنظر إلى النص كله، إضافة إلى السياق الذي قيل فيه.

أما الغرض منه فهو جليل يكشف عن أسرار الجمال في القرآن الكريم من جهة ما خصّه الله به من جودة السّبك، وحسن الوصف، وبراعة التراكيب، ولطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التراكيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه وسلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته، وحارب عقولهم أمام فصاحته وبلاغته وكذا الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منثور كلام العرب ومنظومه.

وإذا خصّصنا الكلام بمبحث "التقديم والتأخير" سنلاحظ بقليل من التّأمل التّفاصيل التّي عالج البلاغيون القدماء كالجرجاني والسّكاكي وابن الأثير أنّهم اختلفوا اختلافًا بيّانيًا في طريقة التّناول والعرض نتيجة اختلاف كلّ منهم في فهمه لآلّيّة هذا الأخير "ممّا أدّى إلى وجود طرق ومنهجيّات مختلفة طُرح البحث من خلالهما يمكن أن يمثّل كلّ منها اتّجاهًا مختلفا عن الآخر.

والذي يمكن أن يلاحظ مبدئيّا عند القراءة الأوّليّة هو تداخل الطّرح النّحويّ مع الطّرح البلاغيّ نظرًا لكون هذا المبحث . بلاغيًّا . امتداد لنظيره النّحوي. فإذا كان علما النّحو والمعاني يلتقيان في وظيفة تأدية المعنى؛ فإنّ المعنى الذي يُؤديه هذا يختلف عن المعنى الذي يؤدّيه ذاك : ' النّحو يُؤدّي أصل المعنى مطلقًا ومصدر المقاييس المعتمدة في تحديد هذا الأصل (استقراء كلام العرب) لاستنباط (القوانين). أمّا المعاني فترصُد (الإفادة و ما يتّصل بها من الاستحسان وغيره).[1]

[1] ينظر : يحي بن حمزة العلوي، الشاهد البلاغي في كتاب "الإيجاز"، مجلة تاريخ العلوم، العدد الرابع، ص: 81. السنة 2019 . جامعة . عنابة (الجزائر)

وسيتوقف بحثنا عند آراء عبد القاهر الجرجاني (ت.471هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز) والجماليّة التي أضفاها بهذا المبحث حيث اعتمد منهج العودة إلى الذوق والطبع وربطه بالإعجاز القرآني والإكثار من الأمثلة والشواهد وتحليلها بأسلوب أدبيّ واضح؛ مع الاستئناس بآراء غيره من البلاغيين والنحويين.

الفصل الأوّل:

التّقديم والتّأخير نحوياً وبلاغيّاً.

المبحث الأول: التقديم والتأخير عند النحويين

أولا : الجملة بين النحو والبلاغة

تعتبر اللّغة وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع، بها يعبرون عن أفكارهم و مشاعرهم، و بها يفصحون عن أغراضهم، و التخاطب و التعبير إنما يكون بجمل تشكل معنى تامّا ومفيدا يحسن السكوت عليه. وعليه فالجملة في أصغر صورها هي أهم وحدة لغوية تعبّر عن معنى تام. والجملة في دراسة القدماء ترتبط بمصطلح الكلام، و نجد عند سيبويه(ت180ه) إشارة إلى أسلوب تكوين الجملة و ذلك في باب (المسند و المسند إليه) و هما مالا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدًّا فمن ذلك الاسم المبتدأ و المبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك. ومثل ذلك؛ يذهب عبد الله فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدّا من الآخر في الابتداء[1].

أستنتج من القول أنّ سيبويه كان يعني بكلامه هذا لابدّ للفعل من فاعل كما لابدّ للابتداء من خبر، وكلّ واحد منهما محتاج إلى صاحبه.

وقد حذا الزمخشري(ت538ه) وابن يعيش(ت643ه) و ابن جني(ت392ه) الكلام هو المركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى و ذلك لا يأتي إلا في اسمين كقولك؛ زيد أخوك أو في فعل و اسم نحو قولك: ضرب زيد، و انطلق بكر و يسمى جملة. والجملة عند ابن هشام تقوم على فكرة الإسناد، و هو كغيره من النحاة عندهم هي التي تتكون من مسند و مسند إليه فهي الفعل و فاعله؛ كقام زيد، والمبتدأ وخبره؛ كزيد قائم، و ما كان بمنزلة أحدهما نحو ضُرِبَ اللّصُ، و أقائم زيدان؟ و كان زيد قائمًا و ظننته قائما.[2]

---

[1] ينظر : د. سامي عوض، سميرة موسى، الجملة وبعض ظواهرها عند سيبويه. مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية. سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد(25)، العدد(19)2003، ص :03

[2] ينظر : د. صالح محمد أبو شارب. الجملة من وجهة نظر النّحاة العرب، بوابة كنانة أونلاين،3 ديسمبر 2012 http://kenanaonline.com

وممّا سبق قوله ألاحظ أنّ الجملة عند جمهور النّحاة القدماء تقوم على الإسناد وطرفاه: المسند والمسند إليه فهما ركنان أساسيّان لايغني أحدهما عن الآخر. أي ضمّ تركيب لغويّ إلى آخر على وجه الإفادة التّامة بحيث يكتمل معنى الجملة.

أمّا الجملة عند البلاغيين فيُعدُّ ما قدمه عبد القاهر الجرجاني(ت474ه) في هذا المجال عمدة فقد بحث الجملة و كيفية تأليف الكلمات فيها، وعلاقة بعضها ببعض عبر مصطلحات البناء والتركيب والتعليق التي تؤدي إلى سلامة النظم، إذ يقول الجرجانيّ : " واعلم أنّ مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيبُ بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة، وذلك أنّك إذا قلت : ضرب زيدٌ عمرًا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبًا له. فإنّك تحصل من مجموع هذه الكلم كلّها على مفهوم، وهو معنى واحد لا عدّة معان، وهو إسنادُ (ضرب) إلى (زيد) وهو إثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو."[1]

و هذه النظرة أعم من قول النحاة بارتباط بين ركني الجملة (المسند و المسند إليه) فالكلمة عنده تأخذ وظيفتها من الجملة فهي ليست مرذولة لذاتها و لا مقبولة لذاتها، و إنما لمكانتها من الجملة وعلاقتها بما قبلها وما بعدها. "مما يشهد لذلك انك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك و توحشك في موضع آخر."[2]

فنلاحظ أنّ ترتيب الألفاظ في التركيب إنما يكون وفق ترتيب المعاني في النفس و قد ألحّ عبد القاهر الجرجاني على ذلك في بحث نظم الكلام بحسب معاني النحو، و نظر إلى الجملة بصورها المختلفة من تقديم و تأخير و فصل و وصل، وحذف و زيادة و غيرها و كيفية تأليفها لأداء المعنى القائم في نفس المتكلم، و هو المعنى الذي يريده. ومن هنا نجد أنّ الجرجاني مدّ جسورا بين علميّ النحو والمعاني، وأسّس لنظرية النظم القائمة أساسا على العلاقات التي تُقيمها اللّغة بين الألفاظ ومعانيها، مدركا ومراعيا مبدأ الثنائية في طرق هذه الظّواهر الأسلوبية .

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح : محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة 1996، ص : 413

[2] المرجع نفسه، ص : 46

أي تصوير المعنى تصويرا جماليا موحيا من خلال النظر إلى أجزاء الجملة أو الجملة بأسرها، والجمل مجتمعة واختيار الحالة التي تتناسب مع ما نحن بصدده من معنى نريد تصويره والتّعبير عنه.[1]

فالبلاغيون في بحثهم الجملة كان فيها نحويا بلاغيا، واهتموا بالمعنى أكثر من اهتمام النحويين به، فتناولوا الجملة من حيث التّقديم و التّأخير، و الذكر و الحذف، كما أنّهم قسموا الجملة إلى إنشائية و خبرية و تقسيماتهم كلها تدور في البحث في الأغراض البيانية والمميزات البلاغية.

ما أَخلص إليه هو أنّ القدامى قد درسوا الجملة و اهتدوا إلى نواح مهمة فيها مازالت محتفظة بقيمتها بل و كانت محور الدرس اللّغوي إلى يومنا هذا.

[1] ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية "الرؤية والتطبيق"، دار المسيرة للنشر والتوزيع. ط1، ص : 84.

ثانيا : ماهية التّقديم و التّأخير

المدلول اللّغوي و الاصطلاحي لكلمتي التّقديم و التّأخير

هما مصدران للفعل قدّم و أخّر على زنة فعّل، و جاء اسم الفاعل منهما المقدّم و المؤخّر و هما من أسماء الله الحسنى و المصدر منهما التقديم و التأخير، و في اللّسان المقدِّم في أسماء الله الحسنى هو الذي يقدم الأشياء و يضعها في مواضعها فمن استحق التّقديم قدّمه. و قيل مقدمة كل شيء أوله و نقيضه في العربية هو المؤخر و هو الذي يؤخر الأشياء فيمنعها في مواضعها[1].

أمّا المدلول اللّغوي فله صلة و إيحاء بالمدلول الاصطلاحي، فالقائل حينما ينطق بكلمة بعينها إنما يريد بذلك غرضا معينا يحس به، و لعلّ مجيء هاذين الاسمين التقديم و التأخير بالذات عوضا عن التقدم و التأخر لان هاذين الأخيرين لا يؤديان الغرض المقصود. و من أجل ذلك فقد اعتنى النحاة بهما و استعملوها في تعبيرهم عن ظاهرة معينة في التركيب اللّغوي.

وقد ورد تعريفهما في معاجم المصطلحات النحوية قصد إدراك المعنى المقصود، فالتقديم في اصطلاحهم هو خلاف التأخير وهو أصل في بعض العوامل و المعمولات و يكون طارئًا في بعضها الآخر و فممّا يجب التقديم فيه هو أصل الفعل مع الفاعل و المبتدأ مع الخبر، والفاعل مع المفعول به، و بقية الفضلات و المكملات.[2]

وأما التأخير في الاستعمال النحوي " هو حالة من التغيير تطرأ على جزء من أجزاء الجملة توجب وضعه في موضع أي ما يقتضيه تأخيره وتقديم ما هو مؤخر في الأصل[3].

وذلك كالمبتدأ في الجملة فإنّ موضعه في أوّل الجمل وبداياتها نحو؛ الكتاب فوق الدرج. فالكتاب هو المبتدأ ويجب أن يكون في بداية الجملة كما في المثال، ولكن قد يطرأ عليه ما

---

[1] ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر بيروت، المجلد(12)،ص : 465. 469.

[2] ينظر : محمد نجيب اللّبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط1، سنة1985، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ص: 183.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص184.

يوجب تغيير حكمه من التّقديم إلى التّأخير لم يكن له في الأصل[1].

ونجد أنّ النحاة استعملوا كلمة أخرى جمعت بينهما في المعنى ألا و هي الرتبة و يقصد بها موقع الكلمة في الجملة. أستنتج مما سبق أنّ التعريف اللغوي له علاقة وطيدة بالتعريف الاصطلاحي، ولا شك أنّ هذا تلازم تتميز به اللّغة العربيّة .

وخلاصة القول أنّ التّقديم والتّأخير أسلوب بلاغيّ يعتمد على تقديم بعض الألفاظ أو الجمل في مواضع متقدمة وتأخير أخرى بهدف تحقيق أغراض بلاغيّة تُحدث وقعاً من الحلاوة والطلاوة والمزيّة تُبرز جمال النّص ورونقه.

[1] ينظر : محمد نجيب اللّبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص09.

ثالثا : التّقديم والتّأخير عند النّحاة

يُعدُّ التّقديم و التّأخير انزياحا أو خروجا عن الترتيب الأصلي في التّركيب، و مظهرين من مظاهر مرونة اللّغة العربيّة، و هما عنصران مهمّان في إثراء المعنى و نقل الفكرة إذا ما استطاع المُبدع أن يحسن استعمالهما، فيتصرّف بالألفاظ التّي تكوّن الجملة، فيُقدّم لفظا، ويؤخّر آخر، بما يتلاءم مع المعنى المُراد نقله إلى المتلقي، و بما يتطلبه المقام و الحالة النفسيّة، ولا يُقصد بمرونة اللّغة العربيّة من خلال التقديم و التّأخير فوضويّة الاختيار و التصرّف برتبة الألفاظ دون مراعاة القواعد النّحوية، و ما حدّدته دراسات القدماء، و استقراءاتهم، بل هي مرونة في شكلها الخارجيّ تحتاج إلى دقّة و معرفة بالفروق النّاتجة عن تقديم لفظ و تأخير آخر، وما يتبع ذلك من معانٍ إضافية[1].

إنّ أول من بحث في أسلوب التّقديم و التّأخير و دواعيه هو إمام النحاة، فقد علل له في أكثر من موضع في الكتاب إذ نجده يقول في تقديم المفعول "وإن قدمت المفعول و أخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول وذلك قولك ضَرَبَ زيدًا عبد الله لأنّك إنّما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدّما ولم تثرد أن تشغل الفعل بأوّل عنه و إن كان مؤخّرًا في اللّفظ فمن ثَمَّ كان حدّ اللّفظ فيه أن يكون الفاعل مُقَدَّمُا وهو عربيّ جيد كثير كأنّهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعا يُهمّانهم ويعنيانهم."[2]

أستنتج من خلال كلام صاحب الكتاب أنّ تقديم المفعول لم يضرّ من جهة المعنى، واكتسبوا بتقديمه ضربا من التّوسع في الكلام المسجّع. وهذا ما يظهر من قراءتنا للكتاب الصفحة 41 أنّه يجعل التّقديم والتّأخير للاهتمام والعناية.

[1] ينظر : يوسف أبو العدوس : الأسلوبية " الرؤية والتطبيق"، ص : 175. 180. 182 .

[2] سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر : الكتاب، تح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة 1408هـ. 1998م، ج1، ص : 14. 15.

وقد بحث ابن جني التّقديم والتّأخير وعقد فصلا في الخصائص سمّاه " باب الشجاعة العربية " ما يجوز منه وما لا يجوز وذلك على ضربين؛ أحدهما ما يقبله القياس والآخر ما يسهله الاضطرار.[1]

الأوّل تقديم ما يقبله القياس وهو تقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل أو على الفاعل والفعل معا وتقديم الحال على صاحبها أو على صاحبها والفعل معا. والثاني تقديم يسهله الاضطرار.

غير أنّه في كتابه " المحتسب " نجده ينهج نهج البلاغيّ الذي يهمّه المعنى ويعنيه التّقديم وبلاغته بعيدا عن القياس والتعليل.

[1] ينظر: ابن جنيّ : الخصائص، تح : محمد علي النّجار، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر, بيروت .لبنان .ص : 382.

المبحث الثاني: التّقديم و التّأخير عند البلاغيين

أوّلا : التّقديم والتّأخير عند الجرجاني

تُعدُّ ظاهرة التّقديم و التّأخير التطبيق العملي لكثير من المباحث البلاغية فنجده في الطباق والجناس على سبيل المثال في قول الحق تبارك و تعالى : " وَأَنَّه هُوَ أَضحَكَ وأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا"[1] ، "أما لماذا تقدم الضّحك على البكاء هنا ؟ فأقول : " الضّحك هو آخر مراحل السّرور والسّعادة فعندما يُسَرُّ الإنسان يبدأ ذلك بارتياح في قلبه ثمّ يبتسم ثمّ يضحك إذًا الضحك هو نتيجة لتوالي السّعادات والنّعم السّابقة التّي أنعم الله بها على الإنسان، والبكاء هو آخر علامة تظهر على وجه الحزين؛ أمّا تقدم الموت على الحياة فهو من باب التّقدم الوجودي."[2]

مما سبق قوله أستنتج أنّه قدّم الضحك على البكاء و الإحياء عن الإماتة دلالة منه تعالى على أنّ دوام الحال من المحال و أنّ الفرح يعقبه القرح.

ويعرفه الجرجاني " بأنه باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعه، و يُفضي بك إلى لطيفه، و لا تزال ترى شِعرا يروقك مسمعه و يلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك و لطف عندك أنْ قُدِّم فيه شيء، و حُوِّل اللّفظ عن مكان إلى مكان"[3].

أرى أنّ الجرجاني أولاه عناية خاصة حيث لاحظ أنّ هذه الظاهرة اللّغوية موجودة في أنواع التعابير الراقية و يزيدها رونقا و جمالا. لذا نلاحظه يهاجم النّحويين لأنهم لم يوفوها حقها من البحث و الدرس و قلّلوا من شأنها يقول الجرجاني : "و قد وقع في ظنون النّاس أنه يكفي أن يقال أنّه قدم للعناية و لان ذكره أهمّ من غيره أن يذكر من أين كانت تلك العناية ؟ و بمَ كان أهمّ ؟ و لتخيُّلهم ذلك قد صغر أمر " التّقديم و التّأخير " في نفوسهم، و هوّنوا الخطب فيه،

---

[1] سورة النجم الآية : 43

[2] منير المسيري : دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم " الدراسة التحليلية "، تق : عبد العظيم المصغي وعلي جمعة، ط1 ، مكتبة وهبة القاهرة 2005، ص 628.

[3] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 106.

حتى إنّك لترى أكثرهم يرى تتبّعه و النظر فيه ضربا من التكلّف و لم تر ظنًّا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه."[1]

فهو يرى ضرورة تبيان أهميّة تبيان الدّرس النّحوي العربيّ في الكشف عن أسرار جماليّة اللسان العربي وتوضيح ملامح بيانه وفصاحته. فالنحو عنده هو وسيلة الشاعر و الفنان لإبراز الصور الذهنية و المعاني الباطنة داخل السياق، و عندئذ يصبح للتّقديم و التّأخير قيمتهما و مكانتهما في التراكيب اللّغوية.

وتحدث عبد القاهر عن التّقديم فقسمه قسمين؛ تقديم على نية التّأخير و تقديم لا على نية التّأخير.

أولا : التقديم على نيّة التّأخير

"تقديم يقال إنّه على نيّة التّأخير وذلك في كلّ شيء أقررته مع التّقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، والمفعول به إذا قدّمته على الفاعل كقولك : " منطلق زيد " و " ضرب عَمْرًا زيدٌ " معلوم أنّ " منطلق " و " عمرًا " لم يخرجا بالتّقديم عمّا كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ و مرفوعا بذلك، و كون ذلك مفعولا منصوبا من أجله، كما يكون إذا أخّرت".[2]

وهو في هذا التّقسيم تابع لإمام النّحاة سيبويه في تقديم المفعول بقوله: " و إن قدمت المفعول و أخرت الفاعل جرى اللّفظ كما جرى في الأول و ذلك في قولك : ' ضرب زيدا عبد الله ' لأنك إنما أردت به مؤخرا و ما أردت به مقدما"[3]؛ أي أنّ المفعول لم يتغيّر حكمه ومعلوم أنّ موقع المفعول الأصلي هو بعد الفعل والفاعل.

وهذا ما يظهر واضحا جليّا حين قال الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز ": "واعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام"[4].

---

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 108

[2] المرجع نفسه، ص106.

[3] سيبويه : الكتاب، ص : 14.

[4] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 107.

ثانيا : تقديم لا على نيّة التّأخير

"ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له. فتقدّم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذاك على هذا، ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرّة : " زيدٌ المنطلقُ "على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التّأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان، بل على أن تنقله عن كونه خبرًا إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم تؤخر " زيدًا " على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرًا".[1]

أستنتج من كلام الجرجاني أنّ التّقديم لا على نيّة التّأخير هو الذي تنتقل فيه الكلمة من حكم إلى حكم أي تغيّر حكم الكلمة مثالا : الخبر يصبح مبتدأ والمبتدأ يصبح خبر.

ولعلّ الجرجاني حين قسّم التّقديم إلى النّوعين السّابقين ركّز على المعنى المُراد بأكثر من طريق، اعتمادا على وضع لفظ مكان آخر وكلمة مكان أُخرى متوخّيا معاني النّحو وبيان ذلك قوله : "أعلم أنّ ليس النّظم إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تَزِيغَ عندها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها".[2]

إلاّ أنّنا نجده يختلف مع النّحويين و ينتقدهم انتقادا لاذعًا وأنّه لا يكف أن يُقال قُدِّم للعناية في قوله : " وقد وقع في ظنون النّاس أنّه يكفي أن يقال؛ قدّم للعناية، ولأنّ ذكرَه أهم." من غير أن يُذكر من أين كانت تلك العناية ؟ وبم كان أهمُّ ؟ ولِتَخيُّلهم ذلك قد صغر أمر " التّقديم والتّأخير " في نفوسهم، وهوّنوا الخطبَ فيه، حتى إنّك لَتَرى أكثرهم يَرى تَتَبُّعه والنّظر فيه ضربا من التّكلّف".[3]

---

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص106-107.

[2] المرجع نفسه، ص : 81.

[3] المرجع نفسه، ص : 108.

ومن الأمور الهامّة التي تناولها الجرجاني في باب التّقديم والتّأخير وتوخي الحذر فيها مسألة تقسيم التّقديم والتّأخير إلى مفيد وغير مفيد ووصفه بالخطأ في قوله : " واعلم أنّ من الخطأ أن يُقسّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين فيجعل مفيدا في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض وأن يُعلَّل تارّة بالعناية، وأخرى بأنّه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطّردَ لهذا قوافيه ولذلك سجعه." [1]

وإنّما ذكر ذلك لأنه يبحث ويهتم عن خصائص التّركيب، ويُبيّن ما فيها من جمال وروعة فكأنّه يتساءل في مسائل الاستفهام لماذا عبّر بقوله : أَفَعَلت ؟ ولماذا عبّرَ بقوله أَأَنت فَعَلت ؟ وكأنّه يتساءل عن سرّ التّعبير بتركيب بُدئَ فيه بالفعل وتركيب بُدئَ فيه بالاسم، والبحث عن سرّ التّعبير به وسرّ لزومه الصّدارة، وهذا ما سنتناوله، ونسهب الحديث عنه في الشّق التّطبيقي من الموضوع.

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 110.

ثانيا: الأغراض البلاغية للتّقديم و التّأخير:

من المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعة واحدة، بل لابد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض، وليس شيء منها في نفسه أولى بالتّقدم من الآخر، لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ في درجة الاعتبار، وعلى هذا فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يردّ اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنّما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغيّ أو داع من دواعيها[1].

أستنتج ممّا سبق أنّ التّقديم والتّأخير يكون عملا مقصودا يقتضيه دقّة غرض بلاغي أو داعٍ من دواعيه تُبيحُ للمتكلّم التّوسّع لإبراز الملكة التي يمتلكها في سياقات مختلفة.

وعليه سأقوم بعرض أهمّ الدّواعي والأغراض التي توجب التّقديم والتّأخير في الكلام على سبيل الذّكر لا الحصر :

1 . **التشويق إلى المتأخر** إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة : نحو قول أبي العلاء المعري :

"والذي حَارَت البَرِيّةُ فيه * حَيَوَانٌ مُستَحدثٌ مِن جَمَادِ"[2]

"فالمسند إليه الاسم الموصول وهو (الذي)، والجملة التي بعده " حارت البرية فيه " صلة له والموصول وصلته متلازمان، كأنهما شيء واحد، والمخاطب هنا تتشوّقُ نفسه ويتشوق فؤاده لمعرفة الخبر أعني المسند ذلك لأن في المسند إليه غرابة، ما الذي حارت البريّة فيه يا ترى ؟ فيجيء الخبر متأخرا " حيوان مستحدث من جماد " والذي يعنيه أبو العلاء بالبعث الجسماني يوم يخرج الناس من أجداثهم، فالناس قد تحيروا في البعث الذي هو إعادة الناس بعد أن كانوا ترابًا".[3]

2 . **إفادة التّخصيص :** وإنّما يكون إذا توفّر في المسند إليه شرطان : أن يكون الخبر أعني المسند فعلا، وأن يقع المسند إليه بعد النفي؛ مثال عن ذلك قولك :" ما أنا غششت في الامتحان "، أنت ترى هذا المثال اجتمع له هذان الشرطان، فالمسند إليه وقع بعد النفي، وجاء

[1] ينظر : عبد العزيز عتيق : علم المعاني، ص : 136.

[2] ديوان أبو العلاء المعزي : دالية : غير مجد في ملتي واعتقادي، البيت 63.

[3] فضل حسين عباس : البلاغة فنونها وأفنانها،(علم المعاني)، دار الفرقان، طبعة مزيدة ومنقحة، ص 212.

الخبر فعلا، ومعنى إفادة التّخصيص أنّ المسند إليه ليس هو الذي وقع منه هذا الفعل، ولكن هذا الفعل وقع من غيره، فقولك: "ما أنا غششت " في الامتحان أردت منه أمرين اثنين: نفي الغش عن نفسك، و إثباته لغيرك.[1]

أي أنفي الفعل عن نفسي وأثبته لغيري إذ لا يجوز القول : ما أنا غششت في الامتحان، وأنت لا تريد إلاّ نفي الغش عن نفسك دون أن تثبته لأحد، وعليه نستنتج أنّ التّخصيص ما قصدت إثباته لغيرك ونفيه عن نفسك. ومنه قول المتنبي :

"وما أنا أسقمتُ جسمي به * ولا أنا أضرمتُ في القلب نارَا."[2]

فالسُّقم ثابت في جسمه، والنّار أوقدت لهيبا في قلبه، ولكنه يريد أن ينفي عن نفسه أن يكون سببا في هذا كلّه.

3 . **التعميم :** ويكون ذلك إذا اجتمع في الجملة أداة تدل على العموم، وأداة تدل على النفي، وتقدمت أداة العموم على أداة النفي، فأدوات العموم " كلّ، جميع، عامّة، كافة " وما يشبهها مثل من أدوات النفي " لا ولم " وما أشبههما، فإذا أردت التعميم قدمت المسند إليه فقلت : " كل الناجحين لم يأخذوا جوائزهم "، " كلّ المسلمين لم يقوموا بواجبهم " ، " من يظلم الناس لا يفلح "؛ فأنت هنا تثبت الحكم لجميع الأفراد، دون أن تستثني فردا واحدا ويسمى هذا عموم السلب[3] .

أي تقدّم أداة العموم على أداة النفي شرط أن تكون هي المسند إليه، أمّا سلب العموم هو أن تتقدّم أداة النّفي على أداة العموم، ومثاله قول المتنبي :

"مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ * تَجرِي الرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُّفُنُ."[4]

وعليه قاعدة عموم السلب قاعدة عامة، فإذا سبقت أداة العموم أداة النّفي كان سلبا لجميع الأفراد أمّا قاعدة سلب العموم وهي أن تسبق أداة النّفي أداة العموم، فهي خاضعة للسّياق.

---

[1] ينظر : فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها، ص : 213 . 214.

[2] ديوان المتنبّي، ج2، البيت7، ص : 95.

[3] ينظر : فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها، ص 223 . 224.

[4] ديوان المتنبي: 3: 363.

4. تقوية الحكم وتقريره : "وذلك كقولك عن شخص كريم : " هو يعطي الجزيل " فأنت لا تريد أن غيره لا يعطي الجزيل، ولا أن تعرض بإنسان آخر يعطي القليل، ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل، فتقديم المسند إليه " هو " وتكريره في الضمير المستتر في " يعطي " أدى إلى تقوية الحكم وتقريره".[1]

أي أنّك أردت أن تحقق على السّامع أنّه قد فعل، وتمنعه من الشّك.

5. كون المتقدم مَحَطَّ الإنكار والتّعجّب :

نحو قوله تعالى : " أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ"[2] "فإنّما قدّم الخبر " أراغب " على المبتدأ " أنت " لأنّه الأهمّ ولأعنى، وفي ذلك ضرب التّعجب والإنكار لرغبته إبراهيم عن آلهته، وأنّ آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد".[3]

[1] عبد العزيز عتيق : علم المعاني، ص : 138. 139.

[2] سورة مريم الآية : 46.

[3] منير ألمسيري : دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، ص : 480.

ثالثا: أهمية التّقديم والتّأخير

يعدّ التّقديم والتّأخير من أهم الأساليب البلاغيّة في جذب انتباه المتلقي، وإحداث نغمة موسيقية تجعل النّص أكثر جمالاً ورونقاً ما يضفي عليه قيمة بلاغيّة مستمدّة ممّا يلي:

- أنّه من أهم وجوه إعجاز النّظم في القرآن الكريم لأنّه أحد طرق الكشف في هذا الكلام المعجز وينصُّ الإمام عبد القاهر الجرجاني على أهميّة هذا الأسلوب حين عرفّه بأنّه باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرّف، بعيد الغاية...

- مراعاة نظم الكلام فجاء في قوله تعالى : "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين"[1] "وذلك لمراعاة حسن النّظم السّجعي الذي هو على حرف النّون، ولو قال : " نعبدك ونستعينك" لذهبت تلك الطّلاوة وزال ذلك الحسن".[2]

- أنّ التّقديم والتّأخير دليل على مرونة اللّغة العربيّة من خلال عمليّات التّحويل في بنية الجملة، وإعادة تركيبها ومن تمّ تنوع دلالتها البلاغية مع توخّي معاني النّحو فيها في قولك : "زيد منطلق" و "زيد ينطلق" و " ينطلق زيد " و " منطلق زيد "و " زيد المنطلق" و " المنطلق زيد "[3].

- التّقديم والتّأخير له علاقة بالأثر النّفسي والإدراك الذّوقي إذ نجد الشّيخ يقول بأنه " أمور خفيّة، ومعانٍ روحانيّة، أنت لا تستطيع أن تنبّه السّامع لها، وتحدث له علما بها، حتى يكون مهيّئا لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسا".[4]

---

[1] سورة الفاتحة الآية : 5.

[2] عبد العزيز عتيق : علم المعاني، ص : 142. 143.

[3] الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 81.

[4] المرجع نفسه، ص : 548.

- الجمع بين النّحو والبلاغة، ويظهر ذلك من خلال الأغراض البلاغيّة لتقديم جزء من الكلام أو تأخيره.

- التّقديم والتّأخير من الأساليب البلاغيّة التي تستخدم للتّأثير على المستمع من خلال ما يضفيه من جماليّة على الكلام وتجعله أكثر جاذبيّة وإقناع للقرّاء.

- العناية والاهتمام وهو إشارة واضحة للبعد النّفسي وأوّل من تناول هذه المسألة صاحب الكتاب؛ وقد سبق الحديث عنها.

- أنّ التّقديم والتّأخير أتى لأغراض سامية ودلالات عميقة تعتبر حلقة وصل بين المتكلّم (المُبدعُ) والسّامع (المُتلقي) تثير الإحساس بروعة التّعبير، وجمال التّأثير وقوّة التبليغ، الدّالة على نفحات الإعجاز البيانّي.

- يعدّ التّقديم والتّأخير تمرينا للذّهن من خلال إعادة البناء والتّركيب داخل الجملة.

الفصل الثاني:

دراسة في كتاب دلائل الإعجاز

حول التّقديم والتّأخير

أولا: التّقديم والتّأخير والنظم (علم المعاني)

النظم عند الجرجاني هو: "توخي معاني الإعراب وأن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها"[1].

ويوضحه في موضع آخر " أنّه عن توخي معاني النحو في معاني الكلِم "[2]، ويدخل في معاني النحو؛ معاني الحروف، الفصل، الوصل، التعريف، التنكير، التّقديم، التّأخير، الحذف، الذكر، الإظهار، والإضمار.

فالتّقديم والتّأخير عنصران من عناصر المعاني النحوية التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني، واستطاع من خلالها أن يوسع دائرة النحو. حيث عالج الموضوع بناءًا على النظم فنراه يتصرف في الجملة فيغير رتبة الاسم والفعل تارةً، ورتبة الاسم والاسم تارة أخرى.

يقول في مسائل الاستفهام: "إذا قلت : " أفعلت ؟ فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت : أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه"[3].

فتغيير نظم العبارة، وتبديل رتبة ألفاظها، أحدث معاني متجددة ما كانت لتظهر لولا هذا التحويل في مواضع ألفاظها، فهذا إن دلّ فيدلّ على قدرته الذوقيّة على الاستجابة لما توحي به الألفاظ من إحساس، وما يضفيه عليها السّياق من معانٍ، وما تحققه من تأثير في النّفس فيصفها: بأنّها تروقك وتؤنسك في موضع، وتثقل عليك وتوحشك في موضع آخر.[4]

ونجد الجرجاني يهتمّ بنظم الجملة الواحدة في سياقها الكلّي الّتي اجتزأت منه فالكلّ عنده يفسّر الجزء، والجزء عنده في خدمة الكلّ[5].

---

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 81.

[2] المرجع نفسه، ص : 362.

[3] المرجع نفسه، ص : 111.

[4] ينظر: محمد زكي العشماوي : قضايا النّقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربيّة، بيروت، ص : 325.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص :328.

حيث درسّ أهميّة النّظم في تقديم المعاني، وقرّر أنّ الكلمة لا تؤدّي وظيفتها أو تبرر معانيها إلاّ من خلال وجودها في سياق الجملة، فالسّياق هو الأساس في طرح الظّلال المتعدّدة للمعنى اللّغويّ الذي تتكون منه الجملة، ثم الجمل في النصّ الأدبيّ.[1]

ويظهر ذلك في معرض حديثه عن التّقديم مع الهمزة، حينما تكون للتقرير في قوله تعالى : "أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيم"[2].

"لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له _ عليه السلام _ وهم يريدون أن يقرّ لهم بأن كسر ا أصنام قد كان، ولكن أن يقرّ بأنه منهم كان، وكيف ؟ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم : " أأنت فعلت هذا " وقال هو _ عليه السلام _ في الجواب " بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا "[3]. ولو كان التّقرير بالفعل لكان الجواب : فعلتُ أو لم أفعل".[4]

فالجرجاني في نظريته الجديدة قصد النّحو البلاغيّ وبذلك يكون أوّل عالم أخرج النّحو من نطاق شكليته وجفافه، وسما به فوق الخلافات والتّحمّلات حول الإعراب والبناء، وبعث فيه دفء اللّذة الشعوريّة والعقليّة معا، وأخضعه لفكرة النّظم، وأخضع فكرة النّظم إليه، وأصبح النّظم الذي يرتبط بالنّحو، أو النّحو الذي يعود أليه النّظم مباحث في الأسرار البلاغيّة، والنّكات الفنيّة التي تدق في جاذبيتها وتحلّق في تصويرها حتى تصل إلى أرفع مراقي البيان، وذلك هو الإعجاز الذي أذاب فيه الرجل العالم عصارة أيامه ولياليه[5].

وما يمكن استنتاجه أنّ خصائص النّظم في الحقيقة جزء لا يتجزأ من معاني النّحو، فالنحو يتحدث بلغة القانون والنّظم يتحدث بلغة الإحساس.

---

[1] ينظر محمود دار بسة : التّلقي والإبداع " قراءات في النقد العربي القديم " ، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص : 132.

[2] سورة الأنبياء الآية : 62.

[3] سورة الأنبياء الآية : 63.

[4] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 113.

[5] ينظر: فتحي أحمد عامر : فكرة النّظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط : 1988، ص : 81.

"وبذلك استثمر الجرجاني النّحو وأخرجه من دائرة الجمود وجعله وسيلة تسهم في إخراج المعنى بصورة أجمل، فكشف عن الطّاقات الفنيّة العالية الكامنة في شبكة العلاقات التي يتشكل من خلالها التّركيب، وهذا ما نجده في تحليله لقوله تعالى : " وَفَجَرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا "[1] إذ يرى أنّ سرّ جمال هذا التّعبير وإعجازه يكمنان في صياغته من حيث توزيع الألفاظ وارتباط بعضها ببعض فنسبة التّفجير للأرض وهو لاحق في الواقع بالعيون، نتج عنه إضفاء صفة الشّمول، لأنّ الأرض صارت عيونا كلّها، والماء يغور من كلّ مكان منها، ولتأكيد هذه الجودة والحسن والإعجاز يفرض الجرجاني عكس علاقات النّظم ويقول : فجرنا عيون الأرض، أو العيون في الأرض، ففي هذه الصياغة يذهب جمال الاستعارة وتفقد روعتها وصفة الشمول التي كانت متجليّة بها، وهذا التّحليل بعكس وعي الجرجاني بأهميّة النّظم الذي اتّخذه أداة للتحليل البلاغي الذي قام عليه كتابه " دلائل الإعجاز ".[2]

[1] سورة القمر الآية : 12.

[2] سعد محمد علي التميمي : التحليل البلاغي في كتاب " دلائل الإعجاز " للجرجاني دراسة في الأدوات . الجامعة المستنصرية . كليّة التربية، قسم اللّغة العربيّة، ص : 11 (مجلة آداب المستنصرية) https://amm.uomustansiriyah.edu.iq

ثانيا: التّقديم والتّأخير والجانب النفسي

تعدّ اللّغة من الأدوات المهمة التي تساهم في نقل المعاني والأفكار، وما يتبع ذلك من إيحاءات نفسية، فاللّغة وسيلة من وسائل التواصل بين الناس؛ تكشف أفكارهم وما تخفيه نفوسهم من مشاعر وأحاسيس، "ولا ريب أنّ الغرض من ارتياد التّحليل النّفسي للفنّ هو توضيح الأفكار الأساسيّة الكامنة وراء المضمون الظّاهر للعمل الفنيّ الذي يحمل دلالتين اثنتين؛ إحداهما ظاهرة، والثانية خافية قد تؤثر في عقل القارئ".[1]

وممّا سبق ذكره يمكننا القول أنّ الكشف عن الجانب النفسي يشمل المتفنن والمتلقي، فقد تكشف العبارة نفسية قائلها، وقد تقال على نمط معين لتكشف رد فعل المتلقي، وتتحسس جوانب نفسيته، وهذا ما يظهر جليّا في كتابات الجرجاني. إذ نجده في كتابه " أسرار البلاغة " يتحدّث عن أسباب تأثير التّمثيل في النفس قائلا : " أنّ أُنْسَ النّفوس موقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جليّ، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس."[2]

ويعرض في هذا الباب قول الشاعر : " ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأوّل "[3]

"ومعلوم أنّ العلم الأوّل أتى النّفس أوّلا من طريق الحواس والطّباع، ثم من جهة النّظر والرَّوِيَّة، فهو إذن أمسُّ بها رَحِمًا، وأقدم لها صحبة. وإذ نقلتها في الشيء المدرك بالعقل وبالفكرة في القلب إلى ما يدرك بالحواس أو يُعلم بالطّبع، فأنت كمن يتوسّل إليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم. فإذا وقع المعنى في نفسك كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب"[4].

وهناك أمثلة كثيرة وقف عندها عبد القاهر الجرجاني في كتابه الدلائل وحاول أن يجلو صورتها، ويوضح أبعادها، ومنها قول المتنبي:

وما أنا أسقمت جسمي به * ولا أنا أضرمت في القلب نارا.

---

[1] مصطفى ناصف : دراسة الأدب العربي، الدّار القومية للطباعة والنّشر، القاهرة ص : 138.

[2] الجرجاني : أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدّة، ص : 121.

[3] صدره :" نقل فؤادك حيث شئت من الهوى" من أربعة أبيات لأبي تمام في ديوانه.

[4] الجرجاني : أسرار البلاغة، ص : 122.

ويقول عبد القاهر الجرجاني حينما وقف ليحلل هذا البيت ضمن التّقديم مع النفي " المعنى كما لا يخفى على أنّ السقم ثابت موجود، وليس القصد بالنفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جره إلى نفسه". [1]

فنظم العبارة تبعا للمعنى المُراد لا يتأتى إلاّ لمن هضم اللّغة وتبيّن سرّها، والمتنبي واحد من هؤلاء، والجرجاني ممن تذوق الأساليب المختلفة، فجمع بين المتفنن البليغ والنّاقد البليغ، فاللّغة هي بين يديه حلقة وصل بين المبدع والمتلقي ترسم صورة فنيّة في أبهى تواصلها الوجداني. ويقف الجرجاني على أمثلة قرآنية كثيرة، ويقول في قوله تعالى : " أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الْصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ "[2]

" ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون ذلك للإنكار، وإنّما المعنى فيه التّمثيل والتّشبيه، وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون أو أنه يستطيع إسماعهم منزلة من يرى أنه يسمع الصم ويهدي العمي ثم المعنى في تقديم الاسم وأن لم يقُل : " أتُسمعُ الصمَّ " هو أن يقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : " أأنت خصوصا قد أوتيت أن تسمع الصم ؟ وأن يجعل في ظنه أنه يستطيع إسماعهم، بمثابة من يظن أنه قد أوتي قدرة على إسماع الصمَّ". [3]

إذ تُعدُّ صورة من صور الاستفهام الدّالة على الإنكار.

ويقف الجرجاني على أمثلة تقديم المفعول مع الهمزة على الفعل المضارع فيرى أنّ: "تقديم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل".[4]

---

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 125.

[2] سورة الزخرف الآية : 40.

[3] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 120. 121.

[4] المرجع نفسه، ص : 121.

يقول تعالى : " فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ " [1] وذلك لأنهم بنوا كفرهم على أن من كان مثلهم بشرا لم يكن بمثابة أن يتبع ويطاع، ويُنتهى إلى ما يأمر ويصدّق أنه مبعوث من الله عزّ وجلّ وأنهم مأمورون بطاعته[2].

"فنظم الآية بهذا الشكل إيحاء بأنّ النّفس البشريّة تمرّست بالأحقاد من قديم الزمن فالبشر يستنكر أن يتفوق عليه البشر، والإنسان لا يطمئن لنجاح يصيب الإنسان بينما ينحدر هو إلى مهاوي الفشل، ومن ثم أنكرت قريش أن تكون النبوة في حجر محمد - ﷺ - اليتيم الفقير".[3]

فهذه الآية وهي على لسان ثمود وضحت حقيقة نفوسهم.

وممّا يجب معرفته ويسهّل فهم ظاهرة التّقديم والتّأخير وما يتعلّق بهما من جوانب نفسيّة يرتبط بمعرفة سبب النزول والوقوف على الآيات التي تسبق الآية والآيات التي تليها وما في ذلك من خير سبيل لفهم معاني القرآن الكريم، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يعرف سبب نزولها.

وما يظهر أثر نظم العبارة في تحليل فائدة التّقديم والتّأخير وما يرتبط بهما من خفايا نفسية لدى المتفنن والمتلقي قول عبد القاهر الجرجاني في: "تفسير تقديم الفعل المضارع وجملة الأمر أنّك تنحو بالإنكار نحو الفعل فإن بدأت بالاسم فقلت : أأنت تفعل ؟ كنت وجهت الإنكار إلى نفس المذكور، وأبيت أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعل، وممن يجيء منه، وأن يكون بتلك المثابة".[4]

"وتفسير ذلك أنّك إذا قلت : أأنت تمنعني ؟ أأنت تأخذ على يدي ؟ صِرتَ كأنّك قلت : إن غيرك الذي يستطيع منعي، والأخذ على يدي ولست بذاك، ولقد وضعت نفسك في غير موضعك هذا إذا جعلته لا يكون منه الفعل للعجز، ولأنه ليس في وسعه. وقد يكون أن تجعله لا يجيء منه لأنه لا يختاره ولا يرتضيه، وأن نفسه نفس تأبى مثله وتكرهه، ومثاله أن تقول : أهو

---

[1] سورة القمر الآية : 24.

[2] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 122.

[3] فتحي أحمد عامر : فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص 162.

[4] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 122.

يسأل فلانا ؟ هو أرفع همة من ذلك، أهو يمنع الناس حقوقهم ؟ هو أكرم من ذلك.

وقد يكون أن تجعله لا يفعله لصغر قدره، وقصر همته، وأن نفسه نفس لا تسموا وذلك قولك : أهو يسمح بمثل هذا ؟ أهو يرتاح للجميل ؟ هو أقصر همة من ذلك، وأقل رغبة في الخير مما تظن".[1]

أستنتج من النّص السّابق أنّ كلام الجرجانيّ ما يؤكّد أهميّة نظم العبارة في إيصال المعنى يندرج ضمن الجانب النفسي إذ تقديم الاسم يكون لأمرين كلاهما متعلق بالمشاعر الإنسانية؛ إمّا التّحقير فأنت تقلل من شأنه وتصفه بالعجز بقولك : أأنت تمنعني ؟ أو يكون للتّعظيم كقولك : أهو يَمْنَعُ النّاس حقوقهم ؟ هو أكرم من ذلك.

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى : " وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ "[2]، "وذلك أنّ قولهم " آمنّا " دعوى منهم أنّهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به فالموضع موضع تكذيب"[3]

"فتقدّم المسند إليه على الفعل في قوله تعالى : " وَهُمْ قَد خَرَجُوا بِهِ " أفاد تقوية الحكم وتوكيده ودفع الشّك عنه لا قصره عليه ليتثبت معنى خروجهم بالكفر وعدم استفادتهم شيئا من سماع الوحي بسبب غلظ قلوبهم وقسوة أفئدتهم وتكذيبهم فيما أدّعوه".[4]

وأكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي تؤكد متانة العلاقة بين التّقديم والتّأخير والجانب النفسي إذ ظهر لنا من الأمثلة التي تناولناها مدى الارتباط بين التّقديم ونفسية المتفنن من جهة، ونفسية المتلقي من جهة ثانية.

وممّا سبق تناوله يظهر لنا جليّا أنّ جماليّة التّقديم والتّأخير عند الشّيخ عبد القاهر الجرجاني تكمن في العلاقة الوثيقة، والارتباط الشديد بالجانب النّظمي للعبارة، والجانب النّفسي المراد منها فنجده يقول : " فإذا رأيتها قَدْ رَاقَتك وكثُرت عندك ووجدت لها اهتزازا في

---

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 117. 118.

[2] سورة المائدة الآية : 61.

[3] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 134.

[4] منير المسيري: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص:319.

نفسك، فَعُدْ فانظر في السّبب، واستقص في النّظر فإنّك تعلم ضرورة أن ليس إلاّ أنه قدّم وأخّر، عرّف ونكّر، حذف وأضمر، أعاد وكرّر، وتوخىّ على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها " علم النّحو " فأصاب في ذلك كلّه ثمّ لطّف موضع صوابه".[1]

"فإنّك ترى ما ترى من الرّونق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة تجعله حسنا في النّظم".[2]

ومن المستوى الجماليّ للتّعبير الذي يستمدّ قيمته الفنيّة من النّحو الإبداعي يتمثل في تحليل الجرجاني لقوله تعالى : " وَجَعَلُواْ للّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ "[3] فهنا انتهاك للرّتب بتحريك الألفاظ من أماكنها الأصليّة إلى أماكن أخرى أضفت على الدّلالة طبيعة جماليّة نفتقدها إذا ما عدنا بها إلى رتبها الأولى وقلنا وجعلوا الجنّ شركاء لله فليس بِخافٍ أنّ تقديم الشركاء له مزيّة، لأنّ التّقديم أضفى إفادة لا سبيل لها مع التّأخير[4].

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 85.

[2] المرجع نفسه، ص : 86.

[3] سورة الأنعام الآية : 100.

[4] ينظر: محمد عبد المطّلب : البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، سنة 1994، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ص : 329. 330.

ثالثا: أمثلة تطبيقية حول التّقديم والتّأخير عند عبد القاهر الجرجاني

أولا : أمثلة تطبيقية في الاستفهام : يعدُّ أسلوب الاستفهام من أهمّ الأساليب التي نالت العناية، إذ أنّ استعمال أسلوب الاستفهام مجازا يكسب المعاني طبيعة تختلف عمّا هي عليه في صورتها الخبرية فتجعله أكثر حيوية، وتزيد من الإقناع والتّأثير بها وذلك لما في هذا الاستعمال من إثارة للسامع، وجذب لانتباهه، وإشراكه في التّفكير ليصل بنفسه إلى الجواب من دون أن يُملى عليه.

ونجد أنّ الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز يتناول أسلوب الاستفهام في حديثه عن التّقديم والتّأخير مسائل في الاستفهام فصّل وأسهب فيها، وسنقوم بعرض لأهمّها بطريقة بسيطة وموجزة.

1. التّقديم والتّأخير بين الفعل والاسم في الاستفهام الحقيقي

يفهم من كلام عبد القاهر: "أنّ الذي يلي همزة الاستفهام هو المشكوك فيه، والمسئول عنه، يقول : إذا قلت؛ أفعلت ؟ فبدأت بالفعل، كان الشّك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده".[1]

ويختلف الأمر في تقديم الاسم فإذا تقدم الاسم يكون الشّك فيه، والفعل واقع لاشك فيه، ومن أمثلة أنّ الفعل معلوم غير مشكوك فيه وإنّما الشّك في فاعله، يقول عبد القاهر : "وتقول أأنت بنيت هذه الدار ؟ أأنت قلت هذا الشعر ؟ أأنت كتبت هذا الكتاب ؟

فتبدأ في ذلك كلّه بالاسم ذلك لأنّك لم تشّك في الفعل أنّه كان أو كيف ؟ وقد أشرت إلى الدار مبنية والشعر مقولا، والكتاب مكتوبا، وإنّما شككت في الفاعل من هو ؟"[2]

يؤكد عبد القاهر الجرجاني الفرق بين تقديم الاسم، وتقديم الفعل في الاستفهام الحقيقي، وفساد أحدهما في موضع الآخر، بقوله : "فلو قلت: أأنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 111.

[2] المرجع نفسه، ص : 111.

أأنت قلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله ؟ أأنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ خرجت من كلام الناس، وكذلك لو قلت : أبنيت هذه الدار ؟ أقلت هذا الشعر ؟ أكتبت هذا الكتاب ؟ قلت ما ليس بقول ذلك لفساد أن تقول في الشيء المُشَاهَد الذي هو نُصْبَ عينيك أَمَوجودٌ أم لا".[1]

فلا شّك في فساد ما سبق من الأمثلة، ودليل ثبوت هذا الفرق وسبب الفساد فيه. يمثل عبد القاهر بأنماط مختلفة لِيُبَيِّنَ الفرق بين تقديم الاسم وتقديم الفعل، يقول : "تقول: أقلت شعرًا قط ؟ أرأيت اليوم إنسانا ؟ فيكون كلاما مستقيما".[2]

"أي أنّه جائز أن تشكّ في قول المسئول عن الشّعر وفي رؤيته اليوم إنسانا فتسأل عن الفعل، لتعلم ثبوته له أو نفيه عنه"[3].

"ولا يصح أن تقول: أأنت قلت شعرًا قط ؟ أأنت رأيت إنسانًا ؟ أَحَلْتَ وذاك أنّه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا".[4]

وسبب الفساد أنّ مثل هذا التركيب يكون المطلوب فيه تعيين فاعل الفعل أمّا الفعل نفسه فهو مسلم (معلوم) وتعيين الفاعل هنا محال لأنّ الفعل المذكور وهو قول شعر على الجملة ورؤية إنسان عامّ لا يختصّ به فاعل دون فاعل فطُلب تعيينه، طلب لما لا يمكن، فيكون فاسداً.

---

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص : 112.

[2] المرجع نفسه، ص : 112.

[3] محمود السيد شيغون : أسرار التّقديم والتّأخير في لغة القرآن الكريم. دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ص : 14.

[4] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 112.

وما جاء هذا الفساد إلاّ من تقديم الاسم، ولو كان تقديمه وتأخيره سواء في الدلالة، لوجب أن تصبح هذه التراكيب كما صحّ ما قبلها لكن فسادها دليل أنّ تقديم الاسم يفيد فائدة لا يفيدها تقديم الفعل وذلك واضح[1].

2. التّقديم والتّأخير بين الفعل والاسم في الاستفهام التقريري

ونجد الجرجاني يتحدّث عن الاستفهام للتقرير قائلا : "واعلم أنّ هذا الذي ذكرت لك في - الهمزة وهي للاستفهام – قائم فيها إذًا هي كانت للتقرير".[2]

أي حمل المخاطب على الإقرار بأمر يعرفه ويبيّن ذلك في قوله تعالى، حكاية عن قول نمرود : "أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ"[3] فقال : "لا شبه في أنّهم لم يقولوا ذلك له _ عليه السلام _ وهم يريدون أن يقر لهم بأنّ كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأنّه منه كان وكيف ؟ وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم : " أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا " وقال هو _ عليه السلام _ في الجواب : " بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ " [4] ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل".[5]

"فهم يريدون أن يقرّ لهم بأنّ كسر الأصنام قد كان ولكن أن يقرّ بأنّه منه كان، كيف ؟ وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم " أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا " فقال _ عليه السلام _ نفيا لما طلبوه من نسبة الفعل إليه دون غيره فدلّ ذلك أنّ المطلوب التّقرير بالفاعل لا الفعل".[6]

وما يؤكّد أنّ التّقرير في الآية بالفاعل، جواب سيدنا إبراهيم - عليه السلام - " بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ " فأجابهم ببيان الفاعل لأنّه يعرف غرض سؤالهم.

---

[1] ينظر: محمود السيد شيغون : أسرار التّقديم والتّأخير في لغة القرآن الكريم، ص : 14.

[2] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 113.

[3] سورة الأنبياء الآية : 62.

[4] سورة الأنبياء الآية : 63.

[5] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 113.

[6] منير ألمسيري : دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، ص 493. 494.

"وأنّ الفرق بين التّقرير بالفعل والتّقرير بالفاعل واضح جليّ، فأنت إذا قدّمت الفعل فقلت : أسرقت، فإنّك تقرّره بحصول السّرقة منه، من غير تعرّض لغيره فجائز أن يكون غيره سرق، وجائز ألاّ يكون وإذا قدّمت الاسم فقلت : أأنت سرقت ؟ فأنت تقرره أنّه السّارق دون غيره".[1]

وعليه يمكن القول أن من شروط الاستفهام التّقريري أن يلي التّقرير الهمزة.

3 ـ التّقديم والتّأخير بين الفعل والاسم في الاستفهام الإنكاري التكذيبي

والمقصود بالاستفهام الإنكاري هو الخروج من الاستفهام الحقيقي إلى معنى التّكذيب أو النّفي، ويجب أن يلي فيه الأمر المراد إنكاره الهمزة سواء أكان فعلا أم فاعلا أم مفعولا أم غير ذلك[2].

يجب في الاستفهام الإنكاري أن يلي المنكر الهمزة، وهذا ما يظهر في الاستفهام الحقيقي والتقريري، وقد مثل عبد القاهر الجرجاني على إنكار الفعل بقوله تعالى : " أَفَأَصْفَاكُم رَبُّكُم بِالبَنِينَ واتَّخَذَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا "[3] وقال فيها : "فهذا رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي هذا الجهل العظيم، وإذا قدم الاسم في هذا صار الإنكار في الفاعل، ومثال إنكار الفاعل قولك لمن انتحل شعرًا : أأنت قلت هذا الشعر ؟ فأنت لا تنكر الفعل وهو قول الشعر ولكنّك تنكر أن يكون هو القائل له، وترى القائل غيره. ويقول : أأنت تمنعني حقّي؟ تريد أنّ غيرك هو الذي يستطيع أمّا أنت فلا".[4]

ولم يكتف الجرجاني بعرض أمثلة إنكار الفعل إنكارًا تكذيبيًا على الطريقة السّابقة بل قدّم صورة أبلغ من سابقتها، لأنّ نفي الفعل فيها بطريق الكناية واللّزوم فهي بمثابة دعوى مع دليلها.[5]

---

[1] محمود السيد شيخون أسرار التّقديم والتّأخير في لغة القرآن الكريم، ص : 17.

[2] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 70.

[3] سورة الإسراء الآية : 40.

[4] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص: 70.

[5] ينظر: محمود السيد شيخون : أسرار التّقديم والتّأخير في لغة القرآن الكريم، ص: 23.

ومن شواهد هذه الصّورة قوله تعالى : "قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا أَنْزَلَ اللهَ لَكُم مِّنْ رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِّ تَفْتَرُونَ "[1] "والمقصود هنا هو نفي الإذن من أصله، فإنّه لا أذن في التحليل والتّحريم إلاّ الله عزّ وجلّ، فإذا نَفَى أن يكون الله آذن فقد انتفى الإذن وأتى الكلام في صورة نفي الفعل لا الفاعل ليكون أبلغ".[2]

4 ـ التّقديم والتّأخير بين الفعل والاسم في الاستفهام الإنكاري التوبيخي

ومن أمثلة الانكار التوبيخي ما تناوله الجرجاني في قوله : "إنكار الفعل لأنّه لا ينبغي أن يكون قولك للرجل يركب الخطر: أتخرج في هذا الوقت ؟ أتذهب في غير الطريق ؟ أتغرّرُ بنفسك ؟ وقولك للرجل يضيع الحقَّ؛ أتنسى قديم إحسان فلان ؟ أتترك صحبته وتتغير عن حالك معه لأن تغير الزمان".[3]

وبهذا المعنى استنكار للشيء المستفهم عنه أي لا ينبغي لك أن تفعل شيئا من ذلك فتقدّم الفعل نقصد الإنكار إليه والتّوبيخ عليه.

ما أستخلصه من الحديث عن الاستفهام الإنكاري أنّ عبد القاهر الجرجاني قد تعرّض للموازنة بين الأسلوبية فذكر أنّ للإنكار بالاستفهام مزايا بها كان أبلغ أثرا، وأوقع في النفس من النّفي الصريح عنها.

"إنّك إذا قلت : أأنت قلت هذا الشعر ؟ ، أتنسى إحسان فلان ؟ فإنّك لم تُفده غرضك وهو تكذيبه أو توبيخه بادئ ذي بدءٍ بل أوقعت في روعه أنّك تطلب منه جوابا فيتبيّنه، ويرجع إلى نفسه ليجيب فيعيا بالجواب، ويخجل، ويعلم أنّك قصدت تكذيبه لأنّه ادعى القدرة على شيء لا يقدر عليه،وقد تتمادى به الغفلة ويظنّ أنّك مستفهم حقّا، فيقول : نعم أنا قلت هذا الشعر،

[1] سورة يونس الآية : 59.

[2] منير ألمسيري : دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، ص : 418.

[3] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 117.

فتقول حينئذٍ : فانظر على غرار، فيظهر عجزه، ويفتضح أمره، ويصبح موضعا للسّخرية والاستهزاء".[1]

"ومزية أخرى للاستفهام الإنكاري وهي أنّ أسلوبه يُشعر بثقة المتكلم واطمئنانه، وأنّه لا يخشى تكذيبا، ولا مخالفة لإيهامه أنّ السّامع أعلم منه بحقيقة الأمر، ولذلك يطلب منه الجواب بحسب الظّاهر أمّا إذا أتيت بالنفي الصّريح، فقلت : أنت لم تقل هذا الشعر. لمن ينتحل شعرا فقد أفدت غرضك من أوّل وهلة ولم توحِ للمخاطب أن يراجع نفسه، ليخجل، ويرتدع، ويعلم أنّه مخطئ".[2]

ثانيا : بعد تناولنا مسائل الاستفهام: سنحاول عرض بعض الأمثلة عن معاني الكلام في النّفي والإثبات إذ نجد الجرجاني يقول : "اعلم أنّ معاني الكلام كلّها معانٍ لا تُتَصوّر إلاّ فيما بين شيئين، والأصل والأوّل هو الخبر وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه، عرفته في الجميع، ومن الثّابت في العقول والقائم في النّفوس، أنّه لا يكون خبر حتى يكون مُخْبَرٌ به ومخبرٌ عنه لأنّه ينقسم إلى "إثبات" و " نفي " ، والإثبات يقتضي مثبتا ومثبتا له و النّفي يقتضي منفيّا ومنفيّا عنه، فلو حاولت أن تتصوّر إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له ومنفي عنه، حاولت مالا يصحّ في عقل، ولا يقع في وهم، ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مُظْهَرٍ أو مقدّرٍ، وكان لفظك به إذا أنت لم تُرد ذلك، وصوتا تُصوّته سواء".[3]

---

[1] محمود السيد شيخون : أسرار التّقديم والتّأخير في لغة القرآن الكريم، ص : 29.

[2] المرجع نفسه، ص : 29.

[3] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 527.

1 ـ التّقديم والتّأخير بين الفعل والاسم في النفي :

يظهر لنا في هذا الباب الأسلوب السّهل الممتنع الدّال على مرونة اللّغة العربيّة فيقودنا إلى البحث عن سرّ جمالها ومن الأمثلة نجد الجرجاني يقول: "إذا قلت: " ما فعلت " كنت نفيت أن تكون قد قلت ذلك، وكنت نوظرت في شيء لم يثبت أنّه مقول، وإذا قلت؛ " ما أنا قلت هذا " كنت نفيت أن تكون القائل له، وكانت المناظرة في شيء ثبت أنّه مقول".[1]

أستنتج أنّ دخول النّفي على الفعل وتأخير الاسم قد يفيد نفي الفعل عن المتكلم، فيجوز أن يكون غيره قد فعله ويجوز أن لا يكون أحد قد فعله.

ونجد الجرجاني يقول في هذا الأمر: "وإذا قلت : " ما أنا فعلت هذا " كنت نفيت أن تكون القائل له وكانت المناظرة في شيء ثبت أنّه مقول، وكذلك إذا قلت : " ما ضربت زيدًا " كنت نفيت عنك ضربه، ولم يجب أن يكون قد ضُرب بل يجوز أن يكون ضربه غيرك، وأن لا يكون قد ضرب أصلا، وإذا قلت : " ما أنا ضربت زيدًا " لم تقله إلاّ وزيد مضروب وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب".[2]

ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأوّل تقديم الفعل: "أن يكون المنفي عاما كقولك : ما قلت شعرًا قط، ما أكلت اليوم شيئًا، وما رأيت أحدًا من الناس، ولم يصلح في الوجه الثاني، فكان خلفا أن تقول : ما أنا قلت شعرًا قط، ما أنا أكلت اليوم شيئًا، ما أنا رأيت أحدًا من الناس، وذلك أنّه يقتضي المحال، وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا، وأكل كل شيء يؤكل، ورأى كل أحد من الناس، فنفيت أن تكونه".[3]

---

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 124.

[2] المرجع نفسه، ص : 124.

[3] المرجع نفسه، ص : 124.

ومن القواعد التي قدّمها الجرجاني في تقديم المفعول وتأخيره في النفي نجده يقول : "فإذا ما قلت " ضربت زيدًا " فقدّمت الفعل، كان المعنى أنّك قد نفيت أن يكون قد وقع ضَرْبٌ منك على زيد، ولم تَعرض في أمر غيره لنفي ولا إثبات، وتركه مبهما محتملا". [1]

بمعنى أنّك نفيت وقوع الضّرب منك على زيد ولم تنفه أو تثبتّه لغيرك. "وأمّا إذا قلت : " ما زيدًا ضربتُ " فقدّمت المفعول، كان المعنى على أنّ ضربا وقع منك على إنسان، وظُنَّ أنّ ذلك الإنسان زيد، فنفيت أن يكون إياه". [2]

بمعنى أنّك نفيت أن يكون المضروب زيد وإنّما شخص آخر لأنّ فعل الضرب وقع منك.

وممّا سبق ذكره يظهر لنا العناية التي أولاها الجرجاني في توضيح المقصود من خلال تفسيره وتخصيصه.

2 ـ تقديم المسند إليه في الإثبات:

أولا : تقديم المسند إليه والمسند مثبت: أي ما تقدّم فيها المسند إليه على الفعل ولم يكن في الكلام نفي، وسنحاول أن نعزّز الحديث في هذا الباب بأمثلة مختلفة.

يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ تقديم المسند إليه في الإثبات يفيد الاهتمام بالمسند إليه المتقدم، ويكون القصد متوجها إليه، وينقسم الغرض من التّقديم إلى قسمين؛

1 ـ "أحدهما جليّ لا يُشكل وهو أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تنصّ على واحد فتجعله له وتزعم أنّه فاعله دون واحد أخر أو دون كل أحد، ومثال ذلك أن تقول : أنا كتبت في معنى فلان وأنا شفعت في بابه، تريد أن تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به، وتُزيل الاشتباه فيه، وترد على من زعم أنّ ذلك كان من غيرك أو أنّ غيرك قد كتب فيه كما كتبت". [3]

---

[1] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 126.

[2] المرجع نفسه، ص : 126.

[3] المرجع نفسه ، ص : 128.

ومعنى ما قاله : "أنّك تريد أن تدّعي الانفراد بذلك، وأن تردّ على من زعم أنّ غيرك مشاركك في الأمر، فتفرد نفسك به، وهو على الأوّل قصر قلب (يعكس ما حكمت به) وعلى الثّاني قصر إفراد (اعتقاده الشركة) ويجوز أن يكون قصر تعيين (إزالة الشّك) إذا قلته لمن يردّد الأمر بينك وبين غيرك فإذا أردت أن تثبت الفعل لنفسك، وتنفيه عن جميع من عداك كان قصرا حقيقيّا".[1]

2 ـ "أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ولكن على أنّك أردت أن تحقّق على السّامع أنّه قد فعل وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولا ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد، ومثاله قولك : _ هو يعطي الجزيل، وهو يحب الثناء _ لا تريد أن تزعم أنّه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره، ولا أن تعرض بإنسان وتحطه عنه وتجعله لا يعطي كما يعطى ولا يرغب كما يرغب، ولكنك تريد أن تحقق على السّامع أنّ إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه وأن تمكن ذلك في نفسه".[2]

يظهر من قول الجرجاني أنّ سبب الاهتمام بالاسم المقدّم أن يكون الغرض إفادة تقوية الحكم الذي هو ثبوت الفعل للفاعل وتوكيده ودفع الشّك عنه لا قصره عليه؛ ويظهر في قوله " هو يعطي الجزيل " ، " هو يحب الثناء " لا تريد أن تقصر الفعل عليه، ولا أن تنفيه عن غيره وإنّما تريد أن تحقّق الحكم وتمكّنه في نفس السّامع، وتدفع الشّك عنه.[3]

[1] محمود السيد شيخون : أسرار التّقديم والتّأخير في لغة القرآن الكريم، ص : 39.

[2] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 128 . 129.

[3] ينظر: محمود السيد شيخون : أسرار التّقديم والتّأخير في لغة القرآن الكريم، ص : 39.

ومن الشّواهد التي جاء بها التّقديم فيها للتقوية قوله تعالى : " وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ " [1]. "فتقديم المسند إليه على الفعل في قوله " هُمْ يُخْلَقُونَ " من أجل ثبوت الفعل للفاعل وتوكيده، ودفع الشّك عنه لا قصره عليه من أجل أن يتمكّن في نفس السّامع"[2].

وخلاصة القول أنّ فضل عبد القاهر الجرجاني في هذا المبحث كان يعتمد على الذّوق قبل أن توضع له القواعد والضوابط، وأنّه أوّل من أبان عن أسراره، وكشف عن أكمام أستاره في كتابه " دلائل ا إعجاز " ولم يكن الفضل لحيازته قصب السّبق فحسب، بل إنّ الإمام كان أغنى غناء وأكثر ثراء بما جاء به من أمثلة، ونصوص ذات صلة بالسّليقة، والحقيقة (السّليقة اللّغوية وحقيقة البيان العربي) تتبيّن منها أحوذيّة الرجل لمزايا أسلوبيّة كثيرة يدركها من وقف على ما كتبه الشّيخ عن كثب وقرب[3].

[1] سورة الفرقان الآية : 03.

[2] منير المسيري : دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، ص : 521.

[3] ينظر : فضل حسن عبّاس : البلاغة فنونها وأفنانها، ص : 393.

الخاتمة

بعد هذه الجولة في مسائل التّقديم والتّأخير عند عبد القاهر الجرجانيّ يخلص البحث إلى جملة من النّتائج انحصرت فيما يلي :

أوّلا : التّقديم والتّأخير من أصول نظريّة " النظم " التي رآها عبد القاهر لبَّ البلاغة والإعجاز.

ثانيا : قدم الجرجاني من خلال مفهوم نظريّة النّظم دراسة طبيعة الأدب دراسة داخليّة تتكئ بالدّرجة الأساس على التّركيب اللّغويّ الّذي يتّصل باللّفظ المنطوق، والكلام النّفسيّ، فترتيب الألفاظ في الجملة مبني على ترتيب المعاني في نفس منشئها.

ثالثا : أنّ الجرجاني ساق أمثلة مشيرًا فيها إلى جمال التّعبير النّحوي وحسن ما بداخله من تقديم وتأخير.(ربط الاهتمام والعناية بتحرير المعاني وضبطها) فالكلام البليغ تقديم ما تَتَجه إليه العناية، وتتعلق به النّفس.

رابعاً : أغراض التّقديم عند الجرجاني هي التّقرير والإنكار بنوعيه؛ ألتوبيخي، التكذيبيّ، التّقوية وغيرها.

خامساً : منهج عبد القادر الجرجاني مزيج بين منهج المدرسة الكلامية الإعجازية ومنهج المدرسة الأدبية إذ يحسن التعليل والقياس بصورة أدبيّة تتميّز بجمال العبارة مع وفرة الشّواهد البليغة وحسن اختيارها.

سادساً : العودة إلى الذّوق والطّبع وربطها بالإعجاز القرآني الّذي يتميّز بخصائص في أسلوبه وراء جمال اللّفظ وجمال المعنى والإكثار من ا أمثلة والشّواهد وتحليلها بأسلوب أدبيّ واضح.

سابعاً : فتح باب التذوّق البلاغي على مصراعيه للدّارسين والعلماء من معاصريه والمتأخرين عنه وظلّ صاحب مدرسة في الإعجاز القرآني حددت معالم الفكرة المعجزة التي هي النّظم، والخروج بعلم النّحو إلى نمط خير ممّا كان عليه.

ثامناً : الرّاغب بدراسة التّقديم والتّأخير عليه تتبع المسألة تتبّعا تاريخيّا يتّضح فيه نموّ هذه الفكرة، وهذا ميدان صالح ومفيد في سائر المسائل البلاغيّة.

تاسعاً : تركيز الجرجاني على السّامع (المتلقي) وما يخلّفه السّياق من وقع نفسي عليه (أي إثارته ذهنيّا) يقودنا إلى أنّ الشّيخ لمّح إلى بوادر نظريّة التّلقي أو ما يسمّى بالأسلوبيّة حاليّا.

وأخيرا فإنّي أسأل أن يكون في هذا البحث نفع وفائدة وفي مادّته كسبٌ وغَنَاء.

_ والله وحده الموّفق والمستعان

قائمة المصادر والمراجع

I. المصادروالمراجع:

القرآن الكريم

1. ابن جنيّ : الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار الجزء الثاني. دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.
2. ابن منظور جمال الدّين محمد بن مكرم : لسان العرب، مجلد 8 . دار صادر بيروت.
3. أبو هلال العسكري : كتاب الصّناعتين " الكتابة والشعر " تحقيق علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربيّ ط2.
4. إيهاب مجيد جرّاد : القراءة المعاصرة للتّراث النّقدي والبلاغي عبد الحكيم راضي " نموذجا " ط1، 2014.
5. جرجي زيدان : تاريخ آداب اللّغة العربيّة، الجزء 1، تحقيق إبراهيم صحراوي، ط 2007.
6. سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر : الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الجزء الأول، ط3، 1408 هـ ـ 1988م.
7. شوقي ضيف : البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف القاهرة، ط9.
8. عبد الحكيم راضي : نصوص بلاغية من مباحث المعاني (اختيار وتقديم) مكتبة الآداب 1996.
9. عبد العزيز عتيق : علم المعاني، ط1، 2009.
10. عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر. دار المدني بجدّة.
11. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة.
12. فتحي أحمد عامر : فكرة النّظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، منشأة المعارف بالاسكندرية، ط1988.
13. فضل حسين عباس : البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان طبعة مزيدة ومنقحة.

14.فوزي عبد ربّه : المقاييس البلاغيّة عند الجاحظ، ط2005

15.محمد زكي العشماوي : قضايا النّقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النّهضة العربيّة بيروت.

16.محمد عبد المطّلب : البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1 سنة 1994. دار نوبار للطّباعة، القاهرة.

17.محمد نجيب الّبدي : معجم للمصطلحات النّحويّة والصّرفية، ط1 سنة 1985، دار الفرقان للنّشر والتّوزيع.

18.محمود السّيد شيخون : أسرار التّقديم والتّأخير في لغة القرآن الكريم، دار الهداية للطباعة والنشر والتّوزيع.

19.محمود درابسة : التّلقي والإبداع " قراءات في النّقد العربي القديم " دار جرير للنّشر والتّوزيع، ط1، 2010.

20.مصطفى ناصف : دراسة الأدب العربي، الدّار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

21.منير ألمسيري : دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم " الدراسة التحليلية " تقديم عبد العظيم المصغّي، وعليّ جمعة، ط1، مكتبة وهبة القاهرة 2005.

22.يوسف أبو العدوس : الأسلوبية " الرّؤية والتّطبيق " دار المسيرة للنّشر والتوزيع، ط 1.

II. المجلات

1. سامي عوض، سميرة موسى : الجملة وبعض ظواهرها عند سيبويه، مجلة جامعة نشرين للدراسات والبحوث العلميّة، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد25. العدد 19، سنة 2003.

2. سعد محمد علي التّميمي : التّحليل البلاغي في كتاب " دلائل الإعجاز " للجرجاني دراسة في الأدوات الجامعة المستنصرية ـ كليّة التّربية ـ قسم اللّغة العربية، مجلة آداب المستنصريّة. http://amm.uomustansiriyah.edu.iq

3. صالح محمد أبو شارب : الجملة من وجهة نظر النّحاة العرب، بوابات كنانة أونلاين نشرت في 3 ديسمبر2012. http://kenanaonline.com

4. يحي بن حمزة العلوي : الشّاهد البلاغي في كتاب " الإيجاز " ، مجلة تاريخ العلوم، العدد الرابع، أ. عائشة زايدي و د. زهية مرابط، سنة 2019 ـ جامعة عنابة ـ

III. المواقع :

1 ـ موقع الدّيوان، موسوعة الشّعر العربيّ www.aldiwan.net سبتمبر 2020.

الفهرس

إهداء

كلمة شكر

مقدمة.....أ-د

مدخل.....1

الفصل الأوّل: التّقديم والتّأخير نحوياً وبلاغيّاً.

المبحث الأول: التقديم والتأخير عند النحويين..... **8**

أولا : الجملة بين النحو والبلاغة.....8

ثانيا : ماهية التّقديم و التّأخير..... 11

ثالثا : التّقديم والتّأخير عند النّحاة..... 13

المبحث الثاني: التّقديم و التّأخير عند البلاغيين..... 15

أوّلا : التّقديم والتّأخير عند الجرجاني..... 15

ثانيا: الأغراض البلاغية للتّقديم و التّأخير:..... 19

ثالثا: أهمية التّقديم والتّأخير..... 22

الفصل الثاني: دراسة في كتاب دلائل الإعجاز حول التّقديم والتّأخير

أولا: التّقديم والتّأخير والنظم (علم المعاني) 25

ثانيا: التّقديم والتّأخير والجانب النفسي 28

ثالثا: أمثلة تطبيقية حول التّقديم والتّأخير عند عبد القاهر الجرجاني..... 33

الخاتمة.....44

قائمة المصادر والمراجع.....47